عيوب المعاجم

العربية وحاجتها الى معجمين

للامير مصطفى الشهابي

— ١ —

قرأت في العدد ٧٢ وما يليه (١٤ مايو حتى ٤ يونيو سنة ١٩٤٠) من مجلة الثقافة بحثاً لغوياً ممتعاً للعلامة الأب انستاس ماري الكرملي ، عنوانه « معاجمنا العربية » أشار فيه الى بعض المعاجم القديمة في اليونانية واللاتينية ، ثم تناول الامهات من معاجمنا وذكر جانباً يسيراً مما حوته في طياتها من المعايب والمشان . وأنهى بحثه قائلاً انهُ احتزأ ، ذكر « ليكون مثالاً لما في النفس من الاعتراضات على تلك المعاجم التي بليت أساليبها بل عفت من دهر أهل الرقي والعمران . فعسى ان تصلح لتجاري سائر الأمم بتقدمها الأدبي ونهضتها العلمية »

واعجبني إن من ابتلوا بالتفتير عن الألفاظ في تلك المعجمات ، بغية وضع مصطلحات سائغة لعلم من العلوم الحديثة ، يجدون في كتب اللغة هذه الشيء الكثير من الاغلاط والتصحيفات والتقصير في تعريف الألفاظ والخبو من كثير الكلام وتعسير العربي بالأعجمي وتفسير الألفاظ تفسيراً بعيداً عن الفهم كل البعد ، وفي اعتقادي ان العيب الاخير هو اكثر العيوب ضرراً

ولما كنت منذ عشرين سنة أجري في كتب اللغة الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون الزراعية اجتمع لديَّ عشرات بل مئات من الأمثلة على تلك النقائص والمعايب . وهاكم بعض الأمثلة على سبيل الاجتزاء

اولاً — جاء في المخصص لابن سيده عن ابي حنيفة . الثأب والثُّئار بمدرسة شجر يعظم ويتسع ولا ثمر له ولا ثمر الخ

قلت في هذا التعريف غلط عامي . فالثأب من ذوات الأزهار اي ان له نوراً وثمراً

ثانياً — جاء في القاموس المحيط للفيروزابادي : الأرز شجر الصنوبر او ذكره قلت في هذا التعريف غلط عامي ايضاً . فشجر الصنوبر ليس له ذكر وانثى ، بل له ازهار ذكرية

وأزهار انثوية على الشجرة الواحدة . فالصنوبر يسمى في علم النبات « وحيد المسكن » على عكس النخل مثلاً فهو ثنائي المسكن اي ان منهُ ذكوراً لا يحمل فُحَّالها الاَّ أزهاراً ذكرية وإناثاً لا تحمل واحدتها الاَّ ازهاراً انثوية

ثالثاً — اذا راجعت لفظة القنَّب الفيتهم يعرفونهُ بانهُ نوع من الكتَّان أو ضربٌ من الكتَّان . والمعروف ان القنب نوع نباتي والكتان نوع نباتي آخر وكلاهما من فصيلة نباتية وليس في تحليتهما تشابه

رابعاً — اذا فتشت في القاموس المحيط عن الصفصاف وجدت الفيروزابادي يقول : الصفصاف شجر الخلاف

واذا فتشت عن لفظة الخلاف ألفيته يقول الخلاف صنف من الصفصاف وليس به

والقارىء يدرك على الفور أن أحد التعريفين على الأقل فيه سقم واضح

خامساً — من الأمثلة على تعسير الكلم بألفاظ أعجمية قولهم ان الكِرْسِنَّة في الكُشْنَى، والفِصِّيصة الإسْبِسْت، والخَبَق الفُوتَنج ، وحبق الراعي البَرَنْجاسيف ، والبندق الجِلَّوز ، والزبل السِرقين ، وحَسَّ الدابة فرَّجَنَّها ، الخ

ومن بداهة الأمور ان المرء عند ما يراجع لفظة من تلك الالفاظ في معجم عربي فهو يأمل ان يجد لها تعريفاً مفهوماً لا ان يرتطم بألفاظ أعجمية معرَّبة

سادساً — أغرب ما يسترعي النظر في معاجمنا التقصير المشين في تعريف الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون ولا سيما اسماء النباتات والحيوانات . فمعظم هذه النباتات والحيوانات لم توصف بأكثر من أنها نبات أو شجرة أو حيوان او طائر او ما اشبه ذلك . وكثيراً ما يضيفون انها لفظة « معروف » كأنه يفرض على المطالع معرفة الأسماء التي يتحراها . وهو لو كان يعرفها او كان يعرف تحليتها لما احتاج الى معجم . فالسَّمُر شجر معروف ، والسدر نبت معروف ، والحنظل معروف ، والسوسن هذا المشموم ، والشحرور طائر وهكذا الى ما لا نهاية له من الألفاظ التي قصروا في وصفها كل التقصير

سابعاً — من الأمور الثالثة ان معاجمنا خلطت عدداً كبيراً من أسماء أعيان المواليد بعضها ببعض لأن أجدادنا العرب القدماء ما كانوا يميزون بينها تمييزاً علمياً . وما كانوا يهتمون بهذا الأمر وقد كانوا جاهلين بتقسيمات العلوم الحديثة وبتصنيف الأحياء . فاذا فتشت في القاموس المحيط مثلاً عن الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ألفيت الفيروزابادي قد عرف واحدها بالثاني حتى

لكأنها جميعاً شجرة واحدة على حين ان كلاً منها جنس نباتي مستقل عن الآخر تماماً [1]. ولا يمكنني أن أعلل سبب ذلك الخلط إلاّ بكون بعض هذه الأشجار ليست مما تنبته جزيرة العرب. ولهذا قال صاحب العين الأرز هو العرعر وقال أبو عبيد الأرز هو الذي يسمى بالعراق الصنوبر الخ. والتشويش واضح. والأمثلة على الخلط في تسمية أعيان الموالد كثيرة نذكر منها الأرز والبط فهما في كتب اللغة شيء واحد. وكذلك الكرنب والسلق. وكذلك اللوز والبندق الخ. وكل من شدا شيئاً من علمي النبات والحيوان يعرف ان الكرنب من الفصيلة الصليبية والسلق من الفصيلة السرمقية، وأنهما بقلان مبذولان، وأن الفرق في تحليتهما عظيم. أما الفرق في تحلية اللوز والبندق فهو أعظم. فاللوز من الفصيلة الوردية والبندق من الفصيلة البوطية. ولا تشابه في ساقهما ولا ورقهما ولا أزهارهما ولا ثمرهما ولا تمرهما

وأما البط والأوز فهما وان كانا من فصيلة حيوانية واحدة فان كلاً منهما ينتسب الى جنس مستقل عن جنس الآخر

— ٢ —

يتضح من هذه الأمثال التي لدي عدد كبير منها ان اطلاق اسم أحد النباتات او الحيوانات على نبات او حيوان آخر شيء لا يجوز البتة في أيامنا هذه وإن جوّزه أجدادنا في السنين الخوالي. ويفيد في اظهار ما لهذه القضية من الشأن ان أضرب لك مثلاً: وهو أني إذا دخلت وإياك حديقة من حدائق دمشق أو لبنان، ووقفت وإياك أمام خمس شجرات مختلفات الأجناس والأنواع، وهي شجرة من الصنوبر وشجرة من الأرز وشجرة من السرو وشجرة من العرعر وشجرة من القنوب، ثم سألتك عن أسمائها، فلا يجوز ان تجيب بأن الشجرة الأولى لها خمسة أسماء: (الصنوبر والأرز والسرو والعرعر والقنوب)، وان الشجرة الثانية لها خمسة أسماء أيضاً: (الصنوبر والأرز والسرو والعرعر والقنوب) وهكذا حتى تسمي كل شجرة بالاسماء الخمسة على السواء، وأنت تعرف مثلي ان كلاً منها نوع نباتي مستقل عن الآخر، وان العارفين بالأشجار من أبناء العرب يفرقون بينها بمجرد النظر اليها ولا يخلطون في تسميتها. وإذا سألتك بماذا عهد الجمع في التسمية؟ أجبتني لان أجدادنا العرب الأقدمين هكذا قالوا، وهكذا نقل عنهم أصحاب كتب اللغة. فجوابك هذا لا يكون مقنعاً. ولا يرضى به اليوم إلاّ الجامد او الجاهل أو المكابر بالمحسوس. وليس هذا الخلط في التسمية سوى عيب من عيوب المعاجم التي لا بدّ لها من اصلاح

---

(١) أنظر ما نشرته في هذا الباب في المقتطف، عدد يونيو ١٩٣٨ ويوليو ١٩٣٩

ثامناً — قلت ان أكثر عيوب معاجمنا ضرراً تفسيرها الالفاظ تفسيراً بعيداً عن العلم كل البعد أو لا يأتلف مع التفسير العلمي المعروف في يوم الناس هذا . والأمثلة على هذه العيوب لا تعد ولا تحصى . خذ لفظة الشجر مثلاً . فالشجرة علمياً كل نبات معمر له ساق خشبية جزؤها الأسفل عار بسيط وفوقه إما متسق من الورق او عدد من الشعب فالفروع فالأغصان فالأوراق

أما في المعاجم العربية فالشجر من النبات ما قام على ساق ، أو ما سما بنفسه ، دق أو جل ، قوم الشاء او عجز عنه . والفرق بين التعريفين عظيم . فالتعريف العلمي الحديث يشترط ان تعيش الشجرة سنين ، وان يكون لها ساق خشبية (لا ساق هشة عشبية) ، وأن تكون تلك الساق واحدة عارية الأسفل . وهذه الشروط كلها لا توجد في تعريف معجماتنا للشجر . ونتج عن ذلك أن الانسان اذا راجع بعض النباتات العشبية في تلك المعجمات ألفاهم يعبرون عنها بلفظة شجرة . فالخشخاش فيها شجرة والكرسنة شجرة صغيرة والخطمي شجرة والشقراي شفائق النعمان شجرة الخ . الخ . على حين أن هذه النباتات التي ذكرتها وأمثالها مما لم أذكره هي أعشاب سنوية لا أشجار بمعناها العلمي الحديث. فتعريف الشجرة في معاجمنا ليس اذن صالحاً لأيامنا هذه الا اذا أردنا أن نكون نحن في واد والعلوم الحديثة في واد

والحشرات مثلاً لا تطلق اليوم في الاصطلاح العلمي الا على صف معلوم من المفصليات . والحشرة إجمالاً متسقة التركيب . فلها دائماً ثلاثة أجزاء واضحة : رأس وصدر وبطن . وفي الرأس العينان والفم والزوجان «القرنان» . وفي الصدر ثلاث حلقات عليها ثلاثة أزواج من الأرجل لا تزيد ولا تنقص . ولذلك أطلق بعضهم على الحشرات اسم سداسية القوائم [1]

أما في كتب اللغة فالحشرات «الدواب الصغار منها التنفذ والفأرة والحرباء والعظاية والجرذ الخ» . وترى انهم جمعوا في جملة الحشرات حيوانات تنتسب الى صفوف وفصائل مختلفة لا تمت بصلة الى ما نسميه «حشرات» في الاصطلاح العلمي الحديث

هاتان لفظتان ذكرتهما على سبيل التمثيل . ومعظم أعيان النبات والحيوان بل معظم الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون والفلسفة ليست معرَّفة تعريفاً علمياً في معاجم لغتنا الضادية . وهذه الحقيقة الثابتة خاصة هي التي تجعل تلك المعاجم مشوَّشة وناقصة وفي أشد الحاجة الى الاصلاح . ولا يُظَنَّ ان علماء اللغة القدماء كانوا مقصرين في اداء الواجب للغة الضاد . فهم قد نهضوا

(١) من أراد معرفة ألفاظ المصنوف في الحشرات الذي قمت بجمعها لا في هذا العراق في عددي دير وبريو سنة ١٣٩ من المقتطف

يعبء ثقيل جداً وخدموا نفسهم أجل خدمة . وما كان في وسع رجل يعيش في تلك العصور الخالية أن يجيء بخير مما جاءوا به . فالمقصرون هم علماء عصرنا هذا الذين جمدوا ولم يعملوا شيئاً يذكر في سبيل جعل اللغة العربية تتسع لعلوم الحديثة

— ٣ —

حاجتنا الى معجمين

من أشق الأمور تناول المعجمات الحاضرة بالتهذيب والتنقيح بغية أن تستقيم على ما نريده لها وأهون من هذا تصنيف معجم عربي جديد . وهو ما ندعو اليه في محاضراتنا ومقالاتنا وأحاديثنا منذ سنين . ويجب أن يشتمل هذا المعجم على الضروري من ألفاظ المعاجم القديمة وعلى ألفاظ العلوم والمخترعات والمصطلحات الحديثة . ويجب أن تعرَّف فيه جميع تلك الألفاظ تعريفاً علمياً صحيحاً ، أي على مقتضى المعاني الداخلية في معارف هذه الأيام . ولعلَّ معجم لاروس الصغير في الفرنسية هو مثال للمعجم العربي المدرسي الذي ندعو الى تصنيفه . ويكون من السهل بعد وضعه أن يوسع على قدر المستطاع

أما المعجم الثاني الذي نحن أيضاً في أشد الحاجة اليه فهو معجم فرنجي عربي يشتمل على أصح الألفاظ العربية الناظرة الى الكلم الفرنجية . ومن الضروري أن يتضمن هذا المعجم أهم المصطلحات في مختلف العلوم والفنون والآداب والفلسفة فيكون مرجعاً للمترجمين والمؤلفين الذين ينقلون العلوم الحديثة الى اللغة العربية

ومن هم الذين في وسعهم أن يتولوا تصنيف هذين المعجمين ؟ إن الذي يدرك ثقل هذا العبء يحكم بأنه لا يضطلع به الا جمع من العلماء الذين حذقوا أسرار اللغة العلمية وأتقنوا لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية المشهورة واختص واحدهم بأحد العلوم والفنون والآداب الحديثة . ولا يجوز أن يتناول الشخص الواحد منهم سوى الألفاظ التي هي في جملة اختصاصه

وإذا تساءلنا كيف يُجمع هؤلاء العلماء على هذا العمل ؟ ومن ذا الذي يستطيع التأليف بينهم فيروض به ؟ فالذهن لا يتجه الا الى مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر . وفي الحقيقة ينبغي ان يكون وضع هذين المعجمين اهم غرض من أغراض هذا المجمع . ويجب ان تصح همته على تحقيق هذه الأمنية دون ان تمر الأيام والسنون جزافاً . وكم تساءل الغيورون على هذه اللغة هل اتخذ المجمع المثلى نهجاً يتجه في هذا الصدد ؟ وهل طلب من الاختصاصيين المعروفين في انحاء العالم العربي ان يضع كل منهم معجماً صغيراً أو قواميس كافية تشمل الألفاظ المتعلقة

باسم الذي يتقه ؟ (على ان تكون تلك الالفاظ معرَّفة تعريفاً علميًّا . وعلى ان تُذكر بجانبها الألفاظ الفرعية التي تنظر اليها) . ومتى تجتمع هذه المعجمات او هذه القوائم في المجمع ؟ ومتى يؤلف من مجموعها المعجمان اللذان ننشدهما ؟

***

هذه أسئلة نهم كل من يغار على لغة القرآن . وهي ترد على لسان جميع الأدباء والعلماء في بلاد العرب قاطبة . وعنًّا ينتظرون الجواب عنها . فلا اعضاء المجمع (على علمهم وفضلهم) بقادرين على تصنيف المعجمين ، ولا هم يستعينون في تصنيف اجزائهما بعلماء العرب والمستشرقين (اذا كان في المستشرقين من هم جديرون بهذا العمل) . وهكذا تمر الأيام وحاجتنا باقية منذ قرون على ما عرفه الفراهيدي وتلميذه الليث وابو عبيدة وابن دريد والأزهري والجوهري وابن سيده وابن منظور والفيروزابادي وغيرهم من اصحاب كتب اللغة . ولصرى لو عاد هؤلاء الأعلام الى الحياة في يوم الناس هذا ، وغاصوا في بحور العلوم العصرية ، وأنسوا النظر في معجمات اللغات الأوربية ، ووجدونا ما برحنا نستعين بمعجماتهم دون غيرها ، لدهشوا من جهلنا وجمودنا ولأشفقوا على هذا اللسان الذي لم تتمكن من جعله بسامت ألسن الأوربيين ، ولا أن يدانيها ، ولا أن يتسع لعلوم الحديثة ولا أن يسد حاجاتنا الملحة الى الضروري من المصطلحات العلمية

وليس العيب عيب اللغة ، بل عيب أبناء هذه اللغة . ومن العجيب أني ما تكلمت في هذا الموضوع مع رجل من رجال الدولة أو من رجال العلم واللغة ، سواء أمصريين كانوا أم عراقيين أم شاميين ، الا وأظهروا لي تحمسهم على بذل وسعهم في مؤازرة من ينتدبون لصنع المعجمين المذكورين . وأتذكر أن الحكومة العراقية كانت في احدى السنين أعلنت رغبتها عن عزمها على المساهمة ماليا في هذا المشروع الحيوي فأين القصور اذن ؟ هو في الأداة التي انما غاية وجودها هو النهوض بهذا العمل وأعني بهذه الأداة مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر

ولا شك ان الحرب الحاضرة لا تشجع المجمع على المضي في عمل صعب كهذا العمل . ولكن الحرب لم تكن قبل سنة . وهي ستنتهي في يوم من الأيام . فعسى ان لا تقضي العمر وفي نفسنا ما في نفس الأب الناسك المحترم (من الاعتراضات على تلك المعاجم التي بليت أساليبها بل عفت من ديار أهل الرقي والعمران . فعسى ان تصلح لتجاري سائر الامم بتقدمها الأدبي ونهضتها العلمية ؟